تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث

العدد الاول (١٤) - السنة الرابعة / محرم ١٤٠٩هـ.

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث

■ الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والمهتمّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام.

■ الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة.

■ ترتيب المواضيع يخضع لاعتبارات فنّية، وليس لأيّ اعتبار آخر.

■ النشرة غير ملزمة بنشر كل ما يصل إليها.

المراسلات :

تعنون باسم: **هيئة التحرير**

بيروت ـ بئرالعبد ـ مقابل البنك اللبناني / الفرنسي

ص. ب ٢٤/٣٤ ـ تلكس ٤٠٥١٢ ـ ت: ٨٢٠٨٤٣

تراثنا

العدد الأول [١٤]/ السنة الرابعة/ محرّم- صفر- ربيع الأول ١٤٠٩ هـ . ق.

الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث.

الكمّية: ١٠٠٠ نسخة.

قيمة الإشتراك السنوي في نشرة تراثنا ١٥ دولاراً داخل لبنان ، و٢٥ دولاراً في البلاد العربية وأوروبا وآسيا وأفريقيا والأمريكيتين واستراليا . بضمنها أجور البريد المضمون .

النكت الخفية في النادرة الشريفية

السيّد محمد رضا الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيّدنا رسول الله، وعلى الأئمّة من آله الهداة إلى سبيل الله، والتحيّة والرضوان لأتباعهم الصالحين أولياء الله، واللعن والهوان على أعدائهم أعداء الله.

وبعد:

فقد ورد في المقال المنشور في العدد (١٠) الأول من السنة الثالثة (١٤٠٨) من نشرة «تراثنا» العامرة، بحث شيّق حول نادرة الشريف الرضي رضوان الله عليه، التي بدرت منه وهو طفل، فدلّت على عبقريّته الفذّة منذ تلك السنّ المبكّرة.

وأورد الباحث حديث النادرة عن كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلّكان في ترجمة الشريف الرضي... قائلاً عنها: أصبحت... من أشهر النوادر العلمية التي تذكر للتدليل على حدّة الذكاء وسرعة الخاطر... في فترة من العمر يكون تملّك مثل هذا... فيها يبعث إعجاباً أكثر وأكبر [المقال ص ١٠].

ونحن ننقل النادرة عن «وفيات الأعيان» من النسخة الموجودة عندنا

[وهي طبعة مصر سنة (١٣١٠) بالمطبعة الميمنية وطبع بهامشها كتاب «الشقائق النعمانية»] فقد جاء في (ج ٢ ص ٣) ما نصّه:

ذكر أبو الفتح ابن جني .. في بعض مجاميعه: إنّ الشريف الرضي... أُحضر إلى ابن السيرافيّ النحويّ، وهو طفل جدّاً -لم يبلغ عمره عشر سنين- فلقّنه النحو، وقعد معه يوماً في حلقته، فذاكره بشيء من الإعراب -على عادة التعليم- فقال له: إذا قلنا: «رأيت عَمْرو» [كذا في المطبوعة]، فما علامة النصب في عمرو؟

فقال له الرضي: بُغْض عليّ.

فعجب السيرافي، والحاضرون من حدّة خاطره.

إنتهى عن الوفيات.

وقد لاحظ الكاتب اختلاف طبعات «وفيات الأعيان» في إيراد جملة السؤال من هذه النادرة، ونقلَ عن طبعة بولاق مثل ما نقلنا.

وفي طبعة بيروت الحديثة -بتحقيق إحسان عباس -وطبعة حجرية بإيران -نقل الكاتب أنّها أصحّ الطبعات- جاءت هكذا: «إذا قلنا: (رأيت عُمَرَ) فما علامة نصب عُمَر؟».

ثمّ نقل الكاتب عن مصادر أُخرى هذا الاختلاف في نقل جملة السؤال، وأكثر المصادر أثبتت لفظ «عمر» في الموردين، وبعضها أثبت لفظ «عمرو».

ولاحظ الكاتب أنّ محقّق «ديوان الشريف الرضي» الدكتور عبد الفتّاح محمد الحلو رجّح أن يكون الصحيح في العبارة لفظة «عَمْرو»، وأنّ المراد به «عمروبن العاص» ليتمّ جواب الرضيّ بقوله: «بغض عليّ»، لأنّ ابن العاص هو الذي كان يبغض عليّاً عليه السلام ويحاربه جهاراً، وخَطَّأ -بنظره- النسخة التي جاء فيها لفظ «عُمَر» لوجهين:

١- لأنّ عُمَر -[ولابُدّ أن يكون المراد به عند الاطلاق هو عمر بن الخطّاب]- «لم يذكر أحد أنْ قامت بينه وبين علي [عليه السلام] مثل هذه

البغضاء».

٢ـ وعلّله ثانياً بقوله: «ربّما كان [أي الاتيان بلفظ «عُمَر»] وهْماً سبق إلى الأذهان للنكتة اللغوية في منع صرف الكلمة» [المقال ص ١١].

وقد ردّ الكاتب على كلامه ـالذي اختصرناهـ بوجوه عديدة مفصّلاً.

وفقد في «الوجه الخامس» التعليل الأول ممّا ذكره الدكتور بشكل حاسم وصريح وواضح [المقال ص ١٥].

وبالنسبة إلى التعليل الثاني الذي ذكره الدكتور الحلو (فهو مرتكز تعقيبنا هذا) نقول:

إنّ كاتب المقال ـوهو يرجّح أن تكون العبارة «عُمَر» بلا واوـ يبدو موافقاً لما احتمله الدكتورـ وجعله وهماً ـفي هذه العبارة من النكتة الاعرابية، حيث ذكر الكاتب في الوجه الثالث ـممّا علقهـ: إنّ التمثيل في هذه النادرة إنّما وقع من جهة الاعراب وعلاماته التي تظهر في النطق، كما هو المدلول الواضح لكلمة «قلنا»... لا من جهة إملاء الكلمة وكيفيّة كتابتها.

ولفظة «عَمْرو» لاتختلف نطقاً عن سائر الألفاظ المعربة المُنْصَرِفة في أنّها تظهر عليها حركات الأعراب رفعاً ونصباً وجرّاً، فليس في اختيار التمثيل بها [= لفظة عَمْرو] أيّة جهة يستدعيها امتحان الطالب واختبار ذكائه وتفهّمه للقواعد النحوية، سوى معرفة أوّليات النحو وأبسط مبادئه، وهي كيفيّة الرفع والنصب والجرّ، والشريف كان قد تجاوز هذه المرحلة...

والاختبار إنّما يكون بعد أن يكون الطالب قد تجاوز مرحلة يصحّ معها اختباره وامتحانه [المقال ص ١٤].

أمّا ما ذكره الكاتب من أنّ السؤال لا بُدّ أن يكون عن إعراب «عُمَر» لا إعراب «عَمْرو»، لما ذكره من وضوح أمر الاعراب في «عَمْرو»، فلا يُسأل عنه مثل الرضي!

فنردّ عليه الكلام: بأنّ منع «عُمَر» من الصرف أيضاً من أوّليات النحو،

وأبسط مبادئه، وهي كيفيّة إعرابه كما ذكر ،«ولفظة (عُمَر) لاتختلف نطقاً عن سائر الألفاظ المعربة غير المُنْصرِفة في إعرابها»! وإذا كان الشريف «قد تجاوز هذه المرحلة» كما يقول الكاتب و«تجاوز مرحلة يصحّ معها اختباره وامتحانه» بمثل هذه الأعاريب، فلا بُدّ أن لا يطرح عليه مثل هذا السؤال البسيط عن إعراب ما لا ينصرف، الذي يعرفه الأصغر منه، والأقلّ منه ذكاءً.

وأمّا ما نراه نكتة صالحة لرفع مستوى النادرة إلى ما بلغته من الشهرة، وإلى حدّ الإعجاب والإكبار، وتناسب ذكاء السيد الشريف ونبوغه، فهو: إنّ الصواب في العبارة هو:

«إذا قلنا: (رأيت عَمْر) فما علامة النَصْب في عَمْر ؟

فقال له الرضيّ: بُغْض عليّ»

فالوجه في توجيه السؤال، أنّ لفظ «عَمْرو» يحتوي على نكتة إعرابية في النطق، ونكتة إملائية في الكتابة، وما المانع من جمعهما في السؤال؟!

فإنّ لفظ «عَمْرو» في حالة النصب، ينصب بالتنوين، ويخالف ـنُطْقاً ـ لفظة «عُمَر» في ذلك، حيث لا يلحقه التنوين لعدم انصرافه.

وكثيراً ما يشتبه الأُدباء بينهما، وهو وجه لطيف لتوجيه السؤال إلى المبتدئين في النحو.

وهو [أي لفظ «عَمْرو»] أيضاً يتغيّر في الكتابة عند النصب، فإنّ واوه تحذف، وتلحقه الألف، ويخالف في ذلك أيضاً لفظة «عُمَر».

ويشتبه الأدباء أيضاً في ذلك، كما وقع الدكتور الحلو فيه أيضاً وهو ما ذكره الكاتب في «الوجه الرابع».

فلفظ «عَمْرو» في حالة النصب محلّ لمثل هذه الاشتباهات من الكبار، فيكون توجيه السؤال عنه إلى مثل الشريف وهو في عمر الصغار ولم يبلغ العاشرة، متّجهاً بوضوح.

فيلاحظ بوضوح ارتباط إملاء الكلمة بحالة إعرابها في «عمرو» ارتباطاً وثيقاً، ومثل هذا الارتباط والتشابك هو الذي يجعل طرح السؤال عنه موجّهاً، وخاصة للمبتدئين.

فلا وجه لما ذكره الكاتب من أنّ التمثيل في هذه النادرة إنّما وقع من جهة الإعراب وعلاماته التي تظهر في النطق... لا من جهة إملاء الكلمة وكيفيّة كتابتها.. فلاحظ.

ويلاحظ أنّ كلمة «عَمْر» الأُولى في السؤال جاءت ـحسبما نراهـ بلا واو، وبلا ألف النصب.

أمّا حذف الواو: فلأنّ المفروض أنّ كلمة «عَمْرو» تحذف واوها في حالة النصب، وهي في جملة السؤال منصوبة بـ« رأيتُ».

وأمّا حذف ألف النصب: فلأنّ المفروض في السؤال أن لا ينطق السائل بالإعراب الذي يَسْألُ عنه، وإلّا كان الجواب واضحاً، وانتفت فائدة السؤال، فالمفروض أن يقف السائل على آخر الكلمة بالسكون، ويأتي بالكلمة مهملة عن الإعراب.

فكلمة «عمرو» إذا وقعت مفعولاً به تصير «عَمْراً» وإذا وقفنا عليها وأهملناها من الإعراب تكون بصورة «عَمْر»، وقد أطبقت المصادر على حذف الألف سوى اثنين، كما ذكر الكاتب فلا بُدّ من الالتزام بالتحريف فيها كما ذكرنا.

ويظهر أنّ الناقلين للنادرة لم يميّزوا بين «عَمْر» الواردة في السؤال، وبين «عُمَر»، فتصوّروا أنّ الكلمة إذا كانت الأُولى فلابُدّ من وجود الواو، أو وجود ألف النصب، ومع عدمها فهي الكلمة الثانية قطعاً.

غفلةً عن أنّ كلمة «عَمْرو» في حالة النصب تتخلّى عن الواو، وبما أنّها وقعت في جملة السؤال تخلّت عن الألف أيضاً، فصارت «عَمْر»، وليست «عُمَر».

والمصادر التي أثبتت صورة «عمر» ـ وهي الأكثر ـ أصابت الحقّ، إلّا أنّها لم تعيّن كون الكلمة «عَمْر» أو «عُمَر»، لخلّوها عن الضبط بالحركات، خاصّة المطبوعات المهمَلة.

وعلى ما ذكرنا فإنّ الكلمة هي «عَمْر» حذف واوها للنصب، وحذف ألفها للسؤال، وأمّا «عمرو» الثانية في السؤال، فهي مع الواو لعدم كونها منصوبة بل مجرورة بـ«في».

وبهذا نعرف نُكَت كلٍّ من توجيه السؤال، وربط جواب الشريف به، وتندّره فيه، وذلك:

أمّا السؤال:

فهو ليس عن إعراب «عَمْرو» ولا إعراب «عُمَر» حتى يقال ـ في كل منهما ـ إنّ أمر إعرابه واضح، فلا يوجّه إلى مثل الشريف في نبوغه!

لكنّ السائل لمّا وجّه السؤال إلى الشريف بذلك الشكل، أي بقوله: «رأيت عَمْر» ـ بلا ألف ولا واو ـ أراد أن يختبر ذكاء الشريف، فيجده: هل يميّز بين نصب «عمرو» فيقوله بالتنوين، وبين نصب «عُمَر» فيقوله بالفتح، فإنّ مثل ذلك من مواضع الاشتباه كما أوضحنا.

وأمّا النكتة الخفيّة في جواب الشريف، بقوله: «بغض علي»، فهي أنّ الشريف أشار بذلك إلى الجواب الإعرابي، والإملائي، والعقائدي، مع استعماله أُسلوباً بلاغياً رائعاً، وذلك:

أنّ كلمة «عَمْر» الواردة في السؤال بلا واو، ولا ألف ـ كما شرحنا وجهه ـ تشبه رسماً وإملاءاً كلمة «عُمَر» لحذف واوها نصباً فكلمة «عمرو» في حالة النصب وعدم تحريكها تكون «عمر» فأجاب الشريف بلازم ما تؤوّل إليه كلمة «عمرو» في حالة النصب وهو «بغض علي» لأنّ الشريف أوّل كلمة «النصب» الواردة في السؤال من ظاهرها في إرادة الحالة الإعرابية، إلى معناها العقائدي الذي هو العداء للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.

وهذا التأويل مبتنٍ على أساس ما يسمّى في علم البلاغة بـ«القول بالمُوجب»[١] وهو أن يحمل المجيبُ، اللفظَ الوارد في السؤال، على معنىً لم يقصده السائلُ.

فالسائل أراد من النصب، الإعراب.

والشريف أجابه على أنّه أراد النصب العقائدي.

ولا ريب أنّ جواب الشريف هذا، واستعماله هذا الأُسلوب البلاغي البديع، يحتاج إلى مزيد الدّقة، وحِدّة الذكاء، وسرعة انتقال الخاطر، والتوجّه إلى المعاني المختلفة وإصابة المنحر في المسألة العقائدية، بما كان صدوره من السيّد الشريف في ذلك العمر موجباً للإعجاب الأكبر.

وهو الذي أثار حفيظة كثير من المتأدّبين، فحرّفوا النادرة إلى ما يهوون!

إنّ الإباء المعهود في الشريف الرضيّ، ذي النسب العليّ، والأنف الحميّ، دفعه إلى اعتبار الامتحان في الحلقة امتهاناً، وإثارة للطائفيّة الممقوتة، فكأنّه فهم ـ وهو الملاحَظ ـ أنّهم أرادوا أن يجبروه على أنْ يتصوّر صورة كلمة «عمر» التي سيؤول إليها لفظ «عَمْرو» في حالة النصب، فأبى أنْ ينصاع لهم، وإنّما ذكر لازمها وهو «بغض علي»، فجابههم بهذا الجواب اللاذع.

وفي إجابة واحدة جمع الشريفُ الرضيّ بين شتات كلّ هذه المطالب وهذا منه ـ وهو طفل لم يبلغ العاشرة، في حلقة علماء الفنّ ـ يدلّ ـ بلا ريب ـ على ذكاء مفرط ونبوغ مبكّر.

وقد جمعنا بإبرازنا لهذه النكت الطريفة بين ما يناسب شخصية الشريف المرموقة، وبين شهرة النادرة الواسعة، ورفعنا الخلل الواقع في النسخ المختلفة من المصادر الناقلة لها.

---

(١) كذا يسمّيه قدماء البلاغيّين، وسمّاه في كتاب «الأُسلوب الصحيح في البلاغة» ـ ص ٧٨ ـ بـ«التعريف».

وأثبتنا ما كان الكاتب الفاضل بصدده من إبداء الحقّ إلى جانب عقيدة الشريف الرضي عليه رضوان الله الملك العلي.

والحمدلله أولاً وآخراً.

* * *